المحاضرة الثامنة عشر (18) --- التحيز الثقافي في الاختبارات النفسية

- أنواع التحيز في بناء الاختبارات:

1- انحياز البنية: يقصد به التباين والاختلاف في البنية؛ البنيات الثقافية بين مختلف المجموعات التي تطبق عليها الاختبار، فالعوامل التي تشكل بنية الاختبار مثل السلوكات، المواقف، المعايير الاجتماعية، القواعد التي تحكم أدوار الأفراد...إلخ، كل هذه الجوانب ليست واحدة في مختلف المجتمعات. حيث يرى ميلر (1997) أن انحياز البنية هو القاعدة في مختلف أنواع التحيزات في علم النفس عبر الثقافات (بوسالم، 2013، ص. 129).

إذ نجد أن هناك من القيم والسلوكات التي تقيسها العديد من الاختبارات تختلف من بيئة إلى أخرى بناء على نوعية الثقافة أو الجانب الإثني أو العقدي؛ فمثلا ما ينظر له في المجتمعات الشرقية على أنه منافي أو مستهجن من سلوكيات وذا تأثير وتبعية لثقافات مغايرة عن تللك السائدة في هذه المجتمعات نجده بالموازاة في بعض المجتمعات الغربية يندرج ضمن الحرية الشخصية المسموح بممارستها، وهنا نجد الكثير من الباحثين الذين يقومون بترجمة وإعادة تقنين الاختبارات من بيئتها الأصلية يقعون في خطأ أن بعض العبارات أو البنود من الاختبار تصبح لا معنى لها من حيث السلوك المقيس وغير منبئة به على نحو أفضل وعليه يجب الموازنة في اختيار بدائل فقرات تعكس حقيقة تلك السلوكات أو المنبئات بما يتوافق والبيئة الثقافية محل التقنين.

2- انحياز المنهج: يشير هذا النوع إلى جانبين الأول يتعلق بخصائص الأداة والتي لا علاقة لها بهدف الدراسة ومع ذلك تسبب تحيز في تفسير النتائج، والمثال الأكثر شيوعا ألفة الأفراد مع المنبهات والاستجابات (شكل الإجابة)، أما الجانب الثاني فيشير إلى الانحياز الإداري (انحياز إدارة الاختبار) والذي يقصد به اختلافات الدرجات التي يحصل عليها الأفراد ليس لتباين السمة التي تقيسها وإنما لطبيعة التعليمات ومختلف مشكلات التواصل بين مطبق الاختبار والعميل أو المفحوص (بوسالم، 2013، ص. 131).

نناقش في هذا العنصر جزئيتين هامتين في بناء الاختبارات وإعادة تقنينها وتكيفها فالأولى ترتبط بمدى جدية الباحث الذي ربما يقع في خانة انتقاء واختيار منبئات سلوكية معروفة وجاهزة

من البيئة تتسم ببساطتها وسهولة إدراك استجابات نمطية لها مما يؤثر بشكل كبير على نتائج وتفسير نتائج الاختبار في بعد ويقلل من حساسية الاختبار والقدرة على التمييز في السمات المقاسة فيكاد أن يأخذ اتجاه واحد من الارتفاع أو الانخفاض في القياس. من جهة ثانية لابد أن يراعي مطبق الاختبار أن لا يقع في مغبة التأثير اتجاهات الاستجابة لدى المستجيب على الاختبار سواء على مستوى تعليمات الاختبار التي لابد أن تكون واضحة وبسيطة وتثير ردود فعل متقاربة ومفهومة لدى الجميع؛ وأيضا على مستوى تطبيق الاختبارات خصوصا ما تعلق منها بفردية التطبيق أو إلزامية حضور الباحث بغية الشرح أو القراءة للتعليمات والبنود فلا بد له هنا أن يتحرى قدر الإمكان موضوعية الطرح والإدلاء وبساطة الأفكار وألا ينجر في اطناب الشرح والتعقيب مما يؤثر على شخصية المستجيب أو سوء فهمه للسلوك.

3- انحياز البند: من أهم أسباب انحياز البند هو الترجمة السيئة واختلاف المعاني الضمنية للكلمات، فعندما نترجم كلمات قد نركز على المعنى الحرفي لها، وحتى إذا حاولنا ترجمة المعنى لابد أن يكون المعنى المتضمن في الثقافة التي نترجم لها الاختبار، وفي هذه الحالة يحدث انحياز البند على اعتبار أن ما يقيسه البند لا يتضمن المعنى نفسه في جميع الثقافات (بوسالم، 2013، ص. 132).

ترتبط هذه الفكرة بشكل كبير بكفاءة وقدرة الباحث على ترجمة البنود من خلال الحفاظ على مضمون معناها وكذا الفكرة الموجهة للاختبار أو الهدف العام له. وهنا يجب أن يكون المترجمين خبراء في اللغتين (النقل/التقنين أو الترجمة). كما يرعى في ذلك اختلاف اللهجات والسياق الثقافي للمفاهيم والمعاني الضمنية للبنود.

⋆ مصادر الأخطاء في التكييف الثقافي للاختبار:

يذكر رونالد ك هاميلتون وآخرون (2006، ص ص. 25–32) نعومي (2014، ص ص. 156، 157) أن مصار الوقوع في الخطأ أثناء نقل وتكييف الاختبارات ثقافيا تتحدد في جملة العناصر التالية:

1-الاختلافات اللغوية الثقافية التي تؤثر في النتائج: البنية غير المتكافئة للثقافات قد تكون مصدرا لأخطاء التكييف، لهذا يجب اختيار أخصائيين مطلعين على ثقافة المقياس الأصلي وثقافة

المقياس المتلقي لكي يتمكنوا من إيجاد المعاني الموازية في الثقافات التي يجري مقارنتها... يدخل في هذا الإطار كذلك شكل الاختبار فيما يتعلق بطريقة الإجابة، فأسلوب الإجابات المتعددة QC مثلا لا يمكننا الجزم بأن المتقدمين لاختبار متحكمين في طريقة الإجابة هذه بنفس المستوى. كما تدخل في هذا الإطار مسألة السرعة، فالسرعة في الإجابة هي مهارة تختلف باختلاف الثقافات وهكذا فقد يوضع الممتحنين الذين لديهم خبرة في التعامل مع مقاييس تعتمد على السرعة في وضع مريح مقارنة بغيرهم.

2- **موضوعات تقنية وخطط وطرق:** إذا كان الباحث يعرف أنه سيستخدم الاختبار في ثقافة مختلفة، فالمفيد أنه يضع ذلك في الحسبان في بداية عملية تطويره للاختبار، فيتجنب قدر الإمكان الأسئلة ذات العلاقة بثقافة بعينها وغير المألوفة في الثقافات الأخرى مثل الموضوعات المتعلقة بالعملات أو مثلا الرياضات التي تشتهر في دول دون غيرها "كالهوكي" ويستعيض عنها بموضوعات ونشاطات لها معنى في الثقافات المختلفة.

3- عملية الترجمة: ترجع هذه المشكلة إلى عدة عوامل، أهمها:

- أن كل لغة تحمل في طياتها العديد من المرادفات التي تختلف في معانيها اختلافا طفيفا عن بعضها البعض.

- إن كل لغة لا بد وأنها تنتمي إلى ثقافة معينة، وبالتالي فإن المترجم قد ينقل الكلمة إلى لغة أخرى ولكنه لن يستطيع أن ينقل ثقافة هذه الكلمة بشكل فعال، بحيث ينقل تصور صاحب الكلمة الأصلية إلى اللغة المستهدفة في الترجمة، وقد تؤدي تلك الاختلافات اللغوية (أو حتى اللهجية) على مستوى المفردة إلى إشكاليات كبيرة.

- إن كل لغة ذات طابع خاص في تركيب الجملة وترتيب مفرداتها (أي القواعد) فمثلا، اللغة العربية تحمل في طياتها الجملة الاسمية والجملة الفعلية، بينما لا توجد الجملة الاسمية في اللغة الإنجليزية على سبيل المثال، فكل الجمل الإنجليزية هي جمل فعلية، وبالتالي فإن اختلاف التراكيب النحوية للغات يجعل من مشكلات الترجمة عدم وجود مقاييس واضحة لنقل التراكيب.

4- شرح النتائج: الدراسات التي تهتم بالتكييف الثقافي للاختبارات تسعى إلى تأمين الأساس لإجراء مقارنات بين مجموعات مختلفة الثقافات واللغات لكي نستطيع فهم الفرق والتشابه الموجود، ولهذا يجب الأخذ بعين الاعتبار الفروق بين الثقافات في المناهج الدراسية والسياسات التعليمية ومستوى الحياة والقيم الثقافية، وغيرها من العوامل الضرورية لتفسير درجات الأفراد المنتمين للثقافات المختلفة، فتفسير النتائج يجب أن يأخذ في الحسبان الحقائق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لكل مجتمع.